Revue des
lumières 5
Spécialisée en sciences humaines;
pensée et communauté

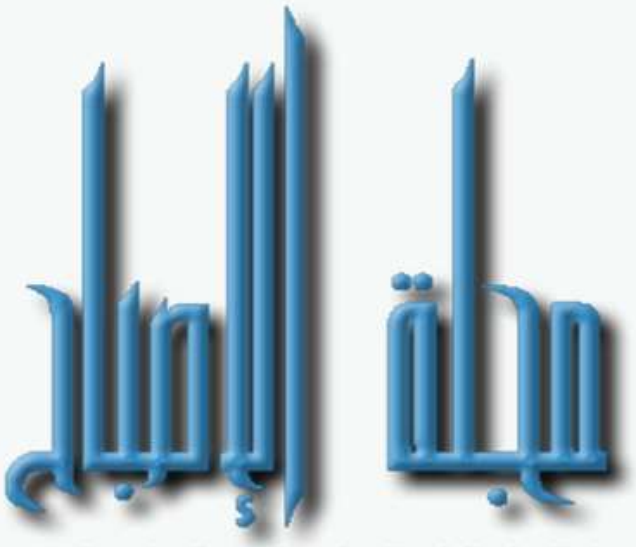

مجلة الاصباح. للعلوم الإنسانية والفكر والسياسة والمجتمع.
العدد 5. يوليو 2020
ISSN 2649 4744

اللغة في درس الجابري تصور عام حول الأنساق المعرفية للمفهوم	أ. عز الدين جبار
اللغة العربية وسؤال الحضارة	د. الحسن بنيعيش
الانزياح الدلالي في أشعار عبدالعزيز المقالح	د. على خضرى
ديداكتيك المعجم : معايير اختيار المعجم وتنظيمه لغير الناطقين بالعربية	د. عبد الرحيم ناجح
حملة أبرهة الحبشي على منطقة وسط الجزيرة العربية المذكورة في نقش مسندي وعلاقتها بحملته على مكة المذكورة في القرآن الكريم	أ.د.عبدالله أبوالغيث
حرب الجزائر١٩٥٧ الحادثة الموثقة لمأساة انسانية جزائرية وضربة جزاء فرنسية دراسة تحليلية تاريخية	أ. صباح عبيد
معالجة المنهج النبوي للمشكلات التي تؤثر على السلم في المجتمع الإسلامي " دراسة تاريخية"	د. عبد الحكيم العراشي
الفكر التحديثي المعاصر وآفة الغلو في الدين: مقاربة نقدية في خطاب الديانيين والعلمانيين	د. مصطفى أمقدوف
مستوى ممارسة مبادئ التعلم النشيط في تدريس مادة العلوم في مرحلة التعليم الأساسي في مديريتي صيره والتواهي في محافظة عدن.	د . اتفاق محمود السقاف
المتـــابعة السيكولوجية للوالـــــدية - من أجل مساندة إكلينيكية لوظيفة الأبوة -	سناني عبد الناصر
Le communisme cinématographique	Zribi Souad

اللغة العربية وسؤال الحضارة

د. الحسن بنيعيش

أستاذ باحث من المغرب

مُلخص البحث

يقوم البحث على عمودين مركزيين: اللغة والحضارة؛ في محاولة كشفٍ عن علاقة الوجه الحضاري العربيّ والإسلاميّ البهيّ باللغة العربية.

اللغة نسق من الرموز والإشارات ونظام من العلامات، وهي أداة المعرفة وقوامها، تساعد على الحوار والتفاهم بين أفراد المجتمعات، إذ هي وعاء للفكر لما تنهض به من وظائف تواصلية وتخصيصها بملكة التعبير عن المشاعر والأحاسيس والرؤى...

والحضارة مجموع العطاء والإبداع الإنساني في الفن والفكر والعلم والآداب والعمران والاجتماع والأخلاق والقيم والسلوك والمعتقدات... إنّها إرث ماديّ ومعنويّ، يسعى الإنسان من خلاله إلى التطوير والتجويد استشرافاً لمستقبل متقدّم وزاهر.

وتعدّ العربية من أقدم وأعمق اللغات البشرية. وقد حظيت لدى أهلها بمكانة بارزة واحتفاء خاصّ ولّد عديداً من الخطباء المصاقع والشعراء الفحول النابهين. وكان لها دور حاسم في ثقافات الشعوب التي خالطت العرب، مما أنتج حضارة عربية إسلامية لامعة مشعّة. أسهب في إلماع هذه الحقيقة مؤرخون ومؤلفون من عيار وول ديورانت الأمريكي في (قصة الحضارة) وزيغريد هونكه الألمانية في (شمس العرب تسطع على الغرب) وغيرهما كثير.

وإذا تحوّل وجه الحضارة العربية الإسلامية من التوهّج والإشراق إلى نوع من الذبول والأفول، فمردّ بعض ذلك إلى إهمال اللغة العربية؛ فانبعاث حضارة رهين بإحياء وتطوير لغة تلك الحضارة!

Arabic language and the question of civilization

The research is based on two central pillars: language and civilization, in an attempt to reveal the relationship between the Arab and Islamic civilization and the splendor of the Arabic language.

Language is a system of symbols and signs, and a system of signs, which is the tool and its strength, which helps in dialogue and understanding between members of societies, and it is a container of thought for its communicative functions and its allocation to the queen of expressing feelings, feelings and visions…

Civilization is the sum of giving and human creativity in art, thought, science, literature, urbanism, sociology, ethics, values, behavior and beliefs ... It is a material and moral heritage, through which man seeks to develop and improve in anticipation of an advanced and prosperous future

Arabic is one of the oldest and deepest human languages. She enjoyed a prominent position among her people and a special celebration that gave birth to many preaching preachers and stellar poets who were astute ... and had a decisive role in

the cultures of the peoples who mixed with the Arabs, which produced a radiant, radiant Arab Islamic civilization. This fact was extensively illustrated by historians and authors of the American caliber of Durant in (The Story of Civilization) and German Sigrid Honke in (The Arab Sun Shines on the West) and many others.

And if the face of Arab-Islamic civilization turns from glow and radiance to a kind of wilt and fading, some of it is due to the neglect of the Arabic language

مقدمة:

تؤدي اللغة دوراً ريادياً في التعريف بثقافات الشعوب والأمم وتساهم في الارتقاء بالحضارات الإنسانية، وهي موئل التعبير عن الفكر، ومعين المعرفة والعلم وأداة تواصل بين الأفراد والجماعات. يقول ابن جني في كتاب (الخصائص): (اللغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم)[1]. وللعرب والعجم قدامى ومحدثين تعريفات وتفريعات شتى للغة بصفتها نواة الدراسات اللسانية وأسّ أساسها. وهي ـ في تقديري ـ آية من آيات الخلق الإلهي. و"تفترض كلّ لغة ضرورة حصول التآلف والانسجام بين أصواتها، ويقود هذا الفرض إلى أنّ فرادة لغة من اللغات تبدأ بتشكل أصواتها والتأليف بينها تأليفا منسجماً وغريباً في الوقت ذاته؛ ويدخل التأليف المنسجم في تنظيم الاستخدام الداخلي للغة، في حين يدخل التأليف الغريب لهذه اللغة حين النظر إليه في أثناء مقارنته بتأليف لغة أخرى"[2]كما يرى الباحث حسن محمد علي أزروال.

من هذا المنطلق فقد كان العرب قديماً يضعون لغتهم في أكرم منزلة وأشرف مرتبة حتى بلغت عنايتهم الاهتمام بجودة الإلقاء وشجيّ الحديث، فنفروا من كلّ عيب يخالط النطق أو يقلل من زهوة التعبير وجمال القول وسحر الكلام كالرطانة والتشدق والتقعر والبهر...حتى استوت عندهم مقولة (خير الكلام ما قلّ ودلّ)، واعتبروا البيان والفصاحة والإعراب قمة الشخصية الإنسانية منذ كان عهدهم بالجاهلية مع أحد فحولها:

لسان الفتى نصفٌ ونصف فؤاده *** فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدمِ

فمدحوا كلّ قول يثير الهزة والطرب ويحرّك سوْرة الفؤاد وخوالج النفس لما تحويه هذه العربية الكريمة من أسرار عجيبة ولطائف وضيئة وأعلاق ساحرة.

وبعد الهوان والخسة والرسف التي عانقت أمتنا العربية الإسلامية لقرون وقرون، يطرح اللسان العربي الجريح عديد الأسئلة:

ـ هل ما تزال العربية الفصحى حية بيننا؟

ـ ما مدى راهنيتها واستهلاكها في التواصل اللغوي في الشارع والاقتصاد والإعلام والعلوم وحتى في المدارس والجامعات؟

ـ إلى أي حدّ يمكن بعثها ملمحاً حضارياً ملحّاً وملهماً للمبدعين والمتعلمين؟

ـ ثم هل للحضارة دروب أنصع من اللغة؟ أم هي السبيل الحقيقي للنهوض من كبوة أو وهدة حضارية عميقة فجّة؟؟

ـ وأخيراً ألم تكن اللغة العربية يوماً هي الميسم الزخّار المجلي لقيمة الجهد العلمي والفكري والحضاري للعقل العربي ومنتجات الحضارة الإسلامية؟

إضاءات:

قال الله تعالى: ﴿إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون﴾. سورة الزخرف:3ـ

---

1. الخصائص ـ ابن جني، تح الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، ج 1، ص 76.

2. النظرية الأدبية في التراث رؤية تكاملية ـ حسن محمد علي أزروال، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط 1، 2018، ص 2.

. وقال أيضاً: ﴿كتاب فُصّلتْ آياتُه قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون ﴾ سورة فصلت:3

. لم يتردد الرسول ﷺ حين لحن بحضرته أحد الأعراب من أن يقول: (أرشدوا أخاكم فقد ضلّ) داعياً إلى تعلّم العربية وترك العجمية والرطانة.

. قال عمر بن الخطاب (ض): (تعلّموا العربية، فإنّها تثبّتُ العقل وتزيد في المروءة).

. قال الشاعر المغربي عبد الرحمن حجّي:

يا بني المصحف الكريم خُذُوها*** باعتزاز وقوّة و دُؤوبِ

قدْ أَخذْنا الإيمانَ عنها ارتواءً *** وركبنا العرفان بالتعريب

. وقال أمير الشعراء:

إنّ الذي ملأ اللغاتِ محاسناً *** جعل الجمالَ وسرّه في الضّادِ

نزل القرآن بالعربية أي بلسان فصيح ناصع مبين إمعاناً في إثبات وتقرير الإعجاز ليكون معجزة محمدية ساطعة. كتاب في نهاية النهايات البيان وأعلى طبقات البلاغة لا يتذوق أسراره ولا يتدبر معانيه إلا من كان عالماً بالعربية وأصولها يسير على خطى من عقل راجح وجنان ثابت.

جعلُ الرسالة الخاتمة بلسان عربي في حدّ ذاته بعدٌ ومجلى حضاري، فضلاً عن الأبعاد العلمية واللغوية والثقافية والتاريخية... وهو أمرٌ يجعل بالضرورة اللسان المختار حائزاً على كلّ المؤهلات والخصائص والإمكانات غير المتوافرة في لغة أخرى، وإلا لكان بهذه اللغات التنزيل سيما والخطاب موجّهٌ لكافة الناس بشارة وإنذاراً منذ زمن الوحي إلى ما شاء الله حتى يكون الناس كالفراش المبثوث.

إنّ العربية ـ شئنا ويأبى الكثير من الناس ـ لها من الطاقات الخلاقة والقدرات التفجيرية عبر الأصول والجذور اللغوية الزائدة عن ثمانين ألف جذر لغوي كما يؤكد علماء اللسانيات، ولا يوجد في غيرها على ظهر البسيطة منذ أنطق الله آدم بالعربية؛ لها من المؤهلات ما يجعلها كاملة الصلاحية في كلّ الأزمنة والأمكنة. يقول شاعر النيل:

وسعتُ كتابَ الله لفظاً وغايةً ۞ وما ضقتُ عنْ آيٍ به وعظاتِ

فكيف أضيق اليوم عنْ وصفِ آلةٍ ۞ وتنسيقِ أسماءٍ لمخترعاتِ

أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ ۞ فهل سألوا الغوّاص عنْ صدفاتي

وما يزكي ارتباط اللغة العربية بالحضارة، ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم السامرائي مؤكداً أنّ (الصفة الغالبة على الأدب القديم في أحقاب ما قبل الإسلام هي «البداوة». وإنّ مادة هذا النمط من الحياة، قد طبع الأدب الجاهلي، بحيث غلب هذا على الالتماعات التي تستوقفنا، مما هو مندرج في أشتات الحضارة، من مواد تتصل بالعطور والحلي واللباس ونحو ذلك من أصناف ما يطعمون وما يشربون)[3].

ولنا أن نسائل التاريخ عن وضع العربية الكوني إبان العصر الزاهر لخلفاء بغداد وقرطبة. ألم يسعَ إلى تعلمها وفقه أسرارها الأعاجم قبل العرب حتى تمرس بها من صاروا جهابذة ونحارير في الري وجرجان ونيسابور وبخارى ومراكش وتلمسان ... وفي كلّ مشارق الأرض ومغاربها لم يكونوا عربيي الأرومة بقدر ما كانوا عربيي اللسان والثقافة والمشارب، بعد أن شرح الله صدورهم للإسلام وبصّرهم بفتق خدر العربية الكريمة المصونة كابن قتيبة والزمخشري والبخاري وسيبويه والجرجاني والبيروني ومن لف لفّهم. نصّعت الحضارة العربية نواصيهم فكانوا درراً لوامع ونجوماً وضّاءة متلألئة.

---

3. في شرف اللغة العربية . الدكتور إبراهيم السامرائي، كتاب الأمة، عدد 42، جمادى الآخرة 1415هـ / 1994م، ط 1، ص 125.

يقول غوستاف لوبون: (وكلما أمعنا في درس حضارة العرب، وكتبهم العلمية، واختراعاتهم، وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة، ولسُرعان ما رأينا أنّ العرب أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأنّ جامعات الغرب لم تعرف بها، مدة خمسة قرون، مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وأنهم هم الذين مدّنوا أوربة مادّة وعقلاً وأخلاقاً، وأنّ التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنّه لم يفقهم قوم في الابتداع الفنيّ)[4].

وفي هذا السياق ـ سياق التجلي الحضاري ـ يطلع علينا كتاب (عندما كنّا عرباً) للمستعرب الإسباني المعاصر "إميليو غونزاليث فيرّين Emilio Gonzalez Ferrin الذي أثار ضجة كبرى وجدلاً واسعاً عصيّاً على الاختزال في الأوساط الثقافية الإسبانية في السنة الماضية (2018) حيث يرافع عن أطروحة (الاعتراف الإسباني خاصة والأوروبي عامة بالماضي العربي الأندلسي باعتباره حلقة مركزية في تقدّم الغرب المسيحي، وأنّ الثقافة العربية الإسلامية شكلت حجر الزاوية في النهضة الأوروبية) [5].

كانت اللغة العربية آنذاك لغة الثقافة والعلوم والمعارف في إسبانيا وهي اللغة التي منحت النهضة الأوروبية أعلاماً من حجم (ابن رشد) وعيار (ابن طفيل) وأضرابهما ...فبدونهم ما كان للتنوير الغربي أن تقوم له قائمة في ذلك العصر (فقد كان المنطق الأرسطي الصوري المنهج المعتمد في معرفة حقائق الأشياء، وهو منهج جدلي استقصائي قائم على القياس، يستنتج من الحقائق المعروفة أكثر من البحث عن حقائق جديدة. وبدأ هذا المنهج يتعرض لنقد عنيف من مفكرين أوروبيين متنورين، اكتشفوا عقمه وعدم جدواه، بعد اتصالهم بالعلم العربي التجريبي الذي كان مزدهراً في بلاد الأندلس منذ القرن العاشر، ثم انتقل إلى أوروبا عن طريق الترجمات مع بدايات القرن الثاني عشر. وكان فرنسيس بيكون " 1561 ـ 1626" من أوائل الذين تبنوا هذا الاتجاه الذي يهدف إلى استخدام العلم لخدمة الإنسان وتوسيع نطاق سيطرته على الطبيعة عن طريق المنهج التجريبي)[6].

خاتمة:

إنّ انبعاث حضارة إنسانية ما رهين بيقظة لغتها وإحيائها على نحو بهي بهيج. فيا للعربية من لغة لو كان لها أهلها! فهي في حاجة دائمة ومستمرة إلى جهود متكلميها ومتعلميها حتى يحسن انتفاع الناشئة والأجيال القادمة من ينبوعها الثرّ الغزير. فليس من الصعب أن نتقدّم ركاب الحضارة البشرية، ونأخذ بزمامها كما فعل سلفنا الصالح. ففي لغتنا دليل نصر وتفوق ونبوغ...أوّل صوّاه تقدير الذات، وإعادة زرع هيبة اللغة العربية في النفوس والابتعاد عن الرطانات والشطحات التي تزعم ـ كذباً ومیناً ـ عجز العربية عن مسايرة التطورات العصرية والتقدم العلمي. فالتاريخ خير شاهد على خدمة العربية لكل العلوم ـ والحقة منها على وجه الدقة لما كانت أوروبا تتخبط في ظلمات القرون الوسطى. بل شهد المنصفون من المستشرقين والمستغربين أن النهضة الحديثة قامت تحديداً على ما ترجم من لغتنا البديعة إليهم تراثاً علمياً وحضارياً غضّاً طريّا.

وتفاعلاً مع هذا السياق، فإنّ أكبر تحدٍّ للعرب والمسلمين اليوم هو التحدي الحضاري المتمثل في عجزهم الرهيب وفشلهم الذريع في ميادين إنتاج المعرفة. فالانتكاسة والردة الحضارية لأمتنا تتغذى بصورة حتمية من التراجع اللغوي السافر للعربية استعمالاً وعجماً وأداءً...

لابد إذن من فعل الاقتناع التام بأنّ لغتَنا حضارتنا: قديماً تبوأت السنام من خلال مساهمتها الوازنة في بناء صرح الحضارة الإنسانية. وحالياً لا تفتأ تنهض بدورها الطلائعي في التطورات العلمية والتقنية التي يضج بها عالمنا المعاصر بفعل تنسيق الجهود والرؤى والتطلعات.

---

4. حضارة العرب ـ غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، عصير الكتب للنشر والتوزيع، 2017، ص 28.

5. انظر أبرز ماجاء من حوار مترجم مع غونزاليث حول كتابه (عندماكُنّاعرباً) ص 64 وما بعدها من مجلة الدوحة،عدد 137، مارس 2019

6. مجلة العربي ـ عدد 726، مايو 2019، مَقال للدكتور محمد كامل ضاهر، تحت عنوان: (كيف ولدت الحضارة الغربية الحديثة؟) ص 25

مراجع الدراسة:

1. حضارة العرب . غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، عصير الكتب للنشر والتوزيع، 2017.
2. الخصائص . ابن جني، تحقيق الشربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة.
3. مجلة الدوحة، ع 137، مارس 2019
4. مجلة العربي، العدد 726، مايو 2019
5. مجلة كتاب الأمة، ع 42، الطبعة الأولى، جمادى الآخرة 1415هـ (في شرف العربية / الدكتور إبراهيم السامرائي).
6. النظرية الأدبية في التراث رؤية تكاملية . حسن محمد علي أزروال، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2018